علي شاكر علي

تاريخ العراق
فـي العهـــد العثماني

١٦٣٨ ـ ١٧٥٠ ميلادية ١٠٤٨ ـ ١١٦٤ هجرية

دراسة في احواله السياسية

الطّبعـة الاولى
١٩٨٥

منشورات مكتبة ٣٠ تموز ـ نينوى ـ هاتف : ٧٣٢٩٥ ـ ٧٢٢٦٣

الكتاب في الاصل رسالة قدمت الى جامعة بغداد
نال بها المؤلف درجة الماجستير في التاريخ
الحديث سنة ١٩٧٦م

المقدمة

أطار البحث وتحليل المصادر

١ ـ اطـار البحث :

لم ينل تاريخ العراق السياسي في العهد العثماني ، حظه من دراسات الباحثين العراقيين مثلما نالته عهودهالاسلامية الاولى. ولعل سوء تقييم الباحثين للفترة العثمانية من انها فترة مظلمة لم يكن العراق خلالهـا الا مسرحا للصدام المسلح بين الدولتين العثمانية والفارسية ، اضافة الى قلة المصادر العربية التي تبحث عن هذه الفترة ، من بين الاسباب التي حملتهم الى العزوف عن دراستها وقد ادى هذا العزوف الى ايجـاد ثغرات في تاريخ العراق الحديث ، لذا كان لابد من دراسـتها وتحليـل حوادثها لسد ثغرة من هذه الثغرات .

وثمة امر اخر دفعني الى اختيار الفترة ـ موضوعة البحث ـ هو ان الماي باللغة التركية ، قد وفر لي فرصة الاطلاع على بعض المصـادر العثمانية المتوفرة في المكتبات العراقية العامة والخاصة ، هذه المصادر التي لا يمكن ان يستغني عنها اي باحث اذا اراد خوض غمار مثل هـذا الموضوع اذ بدونها يبقى البحث ناقصا وبعيدا عن العمق والشـمول ، كما يصعب على الباحث متابعة خطوط الرسالة بمنطق اقوى وامكن .

قسمت البحث الى تمهيد واربعة فصول ، فقد خصصت التمهيـد لدراسة الاوضاع الادارية والسياسية في العراق قبل الفتح العثمانـي الثاني ، وتطرقت فيه وبصورة موجزة الى المفهوم العثمانـي للجهـاز الحكومي في الولايات وصلاحيات هذا الجهاز وتشكيله .

يتناول الفصل الاول المعنون بـ (حملة السلطان مراد الرابع علـى بغـداد ١٦٣٨م) الاوضاع السياسية في الدولة العثمانية عند اعتـلاء السلطان مراد الرابع العرش والحملات التي سيرهـا العثمانيـون في

محاولة لاسترجاع بغداد من ايدي الفرس ، تلك الحملات التي باءت بالفشل نتيجة تظافر عدة عوامل وضحتها اثناء البحث ، ثم بحثت حملة السلطان مراد الرابع متتبعا سير الحملة من اسكودار حتى وصولها بغداد ذاكرا ما جرى للسلطان مراد الرابع من حوادث اثناء السير ، وشرحت حصار السلطان مراد بغداد وفتحه لها ، وحللت اراء بعض المؤرخين حول القتل العام للفرس الذي اعقب سقوط بغداد ، وبحثت في نهاية الفصل معاهدة زهاب سنة ١٦٣٩م باعتبارها نتيجة لحملة السلطان مراد الرابع على بغداد .

وافردت الفصل الثاني في البحث عن ولاة بغداد في الفترة ــ موضوعة البحث ــ وقسمته الى قسمين ، سميت القسم الاول بـ (فترة الفوضى في حكم الولاة ١٦٣٨ ــ ١٧٠٤م) حيث تعاقب على بغداد اكثر من تسعة وثلاثين واليا لم يترك كل واحد منهم عند عزله اثرا يذكر بسبب عدم بقائهم في مناصبهم فترة طويلة من الزمن . اما القسم الثاني فاطلقت عليه اسم ــ عهد جديد وصرامة في الحكم ــ (١٧٠٤م ــ ١٧٤٧م) حيث بحثت حكم حسن باشا الذي كان اكفأ الولاة العثمانيين في النواحي الادارية والسياسية والعسكرية ، والذي سعى الى توحيد العراق بأكمله تحت حكمه ، فذكرت شيئا عن حياته والقابه وسياسته تجاه العشائر العراقية ، ثم بينت علاقته مع الباب العالي ، واستخدامه المماليك في جيشه ، فقد بدر باعتماده على العنصر المملوكي البذور الاولى لحكم المماليك في العراق (١٧٥٠ ــ ١٨٣١م) ثم بحثت عن فترة حكم احمد باشا بن حسن باشا الذي كان من الرجال الذين تلمع كفاءتهم عند اشتداد الازمات ، وفي ختام الفصل اوضحت محاولة الدولة العثمانية القضاء على النفوذ المملوكي المتزايد في بغداد .

وعالج الفصل الثالث الامارات المحلية في العراق ، فكانت امارة افراسياب في البصرة (١٥٩٦ ــ ١٦٦٨م) من ابرز هذه الامارات التي لعبت دورا هاما في تاريخ العراق الحديث ، فاوضحت الظروف التي ساعدت على قيام هذه الامارة واسباب زوالها من الوجود ، ثم بحثت قيام الامارة الجليلة في الموصل سنة ١٧٢٦م وموقف الدولة العثمانية من الجليليين ، ولم اغفل في هذا المجال الامارات الكردية التي تمثلت بصورة رئيسة في فترة بحثنا بالامارة البهدينانية في العمادية والبابانية التي نشأت اول الامر في منطقة بشدر ثم توسعت على حساب الامارات الكردية الضعيفة فيما بعد .

اما الفصل الرابع فقد تناول العلاقات العثمانية ــ الفارسية في القرن الثامن عشر وتأثير هذه العلاقات على العراق الذي كان يتأثر سلبا او ايجابا بتطور الاوضاع السياسية في كلتا الدولتين ، وقد اوضحت في هذا الفصل موقف الدولة العثمانية من الغزو الافغاني لايران وحملة حسن باشا على الاراضي الايرانية وسيطرته على كرمنشاه ، وفتح احمد باشا لهمدان . ودرست في هذا الفصل هجمات نادر شاه على العراق وموقف احمد باشا والي بغداد والدولة العثمانية من التدخلات الايرانية في الاراضي العراقية ، وبحثت كذلك صمود الموصل امام الهجوم الفارسي سنة ١٧٤٣م ، ومقاومة الجليليين الرائعة في صد هذا الهجوم .

ومما يلاحظ على الرسالة ، تطرقها لبعض الاحداث السياسية التي وقعت في الدولة العثمانية وايران ، والسبب في ذلك يرجع الى اعتقادي لكون العراق جزء من الدولة العثمانية ، وموقعه القريب من ايران ، كان يتأثر سلبا او ايجابا بما تحدث في ايران والباب العالي من حوادث سياسية .

لقد حرصت في دراسة الفصول الاربعة على الا اقف عند ذكر الاحداث السياسية فقط بل عمدت الى تحليلها باستمرار وربطها مع العوامل الاخرى التي اثرت فيها او تأثرت بها ، بما كان له اثر كبير في توضيح التطورات السياسية التي حدثت في فترة بحثنا ، لقد اعترض هذا البحث بعض الصعوبات منها عدم حصولي على كتب بعض الرحالة الذين جاءوا الى العراق في الفترة ــ موضوعة البحث ــ وبالرغم من مراجعاتي المتكررة لمكتبة المتحف العراقي التي ابتاعت مكتبة المرحوم يعقوب سركيس ، والتي تتضمن اكثر هذه الرحلات الا انني لم اوفق في الحصول عليها ، وازاء هذه الحالة اضطررت ان اعتمد على ما نقله المؤرخون المحدثون عن تلك الرحلات ، وما ترجمه اصحاب الفضل بعض الفصول من هذه الرحلات ونشروها في المجلات العراقية . ومن بين تلك الصعوبات ايضا افتقار المكتبات الرسمية في العراق الى المصادر العثمانية والفارسية ، فكان لزاما علي ان اطرق ابواب اصحاب المكتبات الخاصة في بغداد وكركوك ، ويمكن القول بلا تردد ، انه لولا مساعدة اصحاب هذه المكتبات لما امكن الاستمرار في كتابة هذا البحث .

ثانيا : تحليل المصادر :

لقد اعتمدنا في كتابة هذه الرسالة على مصادر اصيلة وبمختلف

اللغات الاجنبية ، وعلى سبيل التقديم لدراسة وتحليل المصادر ، لابد لي ان اذكر ان تعريف او نقد كل ما توفر لدينا من مصادر ومراجع هو ابعد ما ان نستطيعه ، لذا سوف نكتفي بالتعرض لبعض المصادر التي شكلت العمود الفقري لهذا البحث ، ويمكن تقسيم مصادر بحثنا الى ما يأتي :ـ

١ ـ المصادر التركية :

وهذه المصادر يمكن تقسيمها الى ما يأتي :ـ

١ المخطوطات التركية : واهم هذه المخطوطات التركية ، تاريخ وقعة نادرد شاه در آمدنش برسر كركوك واربيل وموصل ، لمؤلف مجهول ومؤلفه من رجال حسين باشا الجليلي ، وقد اورد معلومات على غاية من الاهمية ويليه مخطوط تاريخ وجيهي افندي المتوفي سنة ١٠٨١هـ / ١٦٦١م ، وهو يؤرخ للفترة ١٦٣٧ حتى سنة ١٦٦١م ، وقد فصل في حملة السلطان مراد الرابع وخاصة فيما يتعلق بسير الحملة من اسكودار حتى بغداد ، والمعلومات التي اوردها وجيهي افندي ، هي مطابقة تماما لما وردت في مخطوط تركي بأسم بغداد سفري لمؤلف مجهول ـ مخطوط في مكتبة المتحف العراقي رقم ١١٨٨ ، ومن المخطوطات التركية المهمة ، مخطوط تاريخ بغداد والعراق لمؤلف مجهول ، ضمن مجموعة يعقوب سركيس بمكتبة المتحف العراقي وهو يتناول اخبار العراق خلال الفترة ١٧٢٧ ـ ١٧٥٠م .

٢ ـ المطبوعات التركية : وهي مصادر ذات قيمة تاريخية مفيدة ، لانها توضح وجهة النظر العثمانية في الاحداث السياسية من جهة ، ولان اكثر مؤلفيها هم معاصرون لتلك الاحداث او قريبي العهد منها ، ويأتي في مقدمة هذه المصادر كتاب مصطفى نعيما الحلبي ت ١٧١٥م « روضة الحسين في خلاصة اخبار الخافقين » والمشهور بأسم تاريخ نعيما ، وهو كتاب عام لتاريخ الدولة العثمانية مرتب حسب السنين يؤرخ للفترة ما بين (١٥٩١ ـ ١٦٥٩م) ، وقد بحث في الجزء الثالث حملة السلطان مراد الرابع على بغداد ، وانفرد بذكر بعض المعلومات التي لا نجدها في المصادر الاخرى ، فهو المصدر التركي الوحيد الذي اورد نص معاهدة زهاب سنة ١٦٣٩م . ثم يأتي كتاب ابراهيم بچوى ت ١٦٥١م الموسوم (تاريخ بچوى) الذي يقع في جزءين ويؤرخ اخبار الفترة ما بين (١٥٢٠ ـ ١٦٤٠م) ، فهو من المصادر المهمة ، اذ يبحث في الجزء الاول بعض الاحداث التي وقعت في البصرة وخاصة العشائرية

منها ويتناول في الجزء الثاني حملة السلطان مراد على بغداد ، غير انه يغفل في بعض الاحيان ذكر بعض الاحداث المهمة على الرغم من انه معاصر لها .

ويعتبر كتاب مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي ، والمشهور لدى الباحثين الاوربيين بأسم حاجي خليفة ت ١٦٥٨م المسمى (فذلكة كاتب جلبي) من المصادر المهمة ايضا لان المؤلف كان شاهد عيان للحملات العسكرية التي سبقت حملة السلطان مراد الرابع خاصة حملة الصدر الاعظم خسرو باشا . كما ان كتابه لا يخلو من تعليقات شخصية وتحليل بعض الحوادث والمعلومات التي سطرها في مؤلفاته الاخرى مثل ـ تقويم التواريخ وتحفة الكبار في اسفار البحار ـ وجهان نما وهذا الاخير كتاب جغرافي ، رغم الايجاز الغالب على هذه المؤلفات ، الا انها ذات قيمة معتبرة .

اما محمد اغا خواجه زادة ت ١٧٢٣م في مؤلفه سلحدار تاريخي ، فانه ينفرد بميزة خاصة وهي تعرضه للاحداث المحلية التي وقعت في البصرة اثناء حكم افراسياب ، وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بانه عاش فترة من الزمن في البصرة ، وان ما اودعه محمد همدمي جلبي صولاق زادة ت ١٦٥٧م في كتابه صولاق زادة تاريخي الذي دونه في عهد السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ ـ ١٦٨٧م) ، وعبدالعزيز قره جلبي ت ١٦٥٧ في كتابه روضة الابرار المبين بحقائق الاخبار من معلومات ذات قيمة عالية ، ولكن الذي يؤخذ عليهما هو ان بعض المعلومات التي يوردانها تتسم بالغموض ، اضافة الى اهمالهما ذكر بعض الحوادث المهمة بالرغم من انهما معاصران لها . ومن الكتب المهمة ، تاريخ راشد لمؤلفه ابو المكارم محمد ت ١٧٣٥م وهو في خمسة اجزاء يؤرخ للفترة من ١٦٦٠ الى ١٧٢١م ، وكذلك كتاب تاريخ راشد الملا طيوي لمؤلفه محمد بن مصطفى الذي يقع في مجلدين ، ويحتوي الجزء الاول على بعض المعلومات المهمة خاصة عن احتلال فرج الله المشعشعي للبصرة سنة ١٦٩٤م ، وحملة مصطفى باشا دلتبان على البصرة سنة ١٧٠٠م ، وكتاب منجم باشي ، لدرويش احمد افندي ت ١٧٠١م صحائف الاخبار ، وضع منجم باشي كتابه باللغة العربية بأسم جامع الدول وقام الشاعر التركي نديم افندي بترجمته الى اللغة التركية بأسم صحائف الاخبار .

كما يعتبر كتاب فريدون بك ت ١٥٨٢م ، منشآت السلاطين الذي